العولمة ونقل المعرفة
هل هناك حاجة إلي التربية المقارنة ؟

بقلم: أ.د / أحمد إسماعيل حجي

تُذكر العولمة في هذه الأيام, وتُستخدم كمصطلح وكنظرية وكشعار للعصر، وبخاصة في الألفية الثالثة. ثمة تغيرات عديدة وتعريفات للعولمة وتأثيراتها ما بين مؤيد ومعارض مُحذر من عواقبها ومخاطرها علي السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم.

يشهد عصرنا الراهن تسارعا نحو عولمة السياسة وهيمنة غربية – أمريكية أساسا– علي المنظمات الدولية وبخاصة منظمة الأمم المتحدة وأجهزتها، ثم تكتلات أخرى إقليمية كالاتحاد الأروبي.

كما يشهد العصر هيمنة العولمة الاقتصادية من خلال الأجهزة الدولية كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية، وكلها لها قوانينها ووصفاتها للدول التى تلجأ إليها، طالبة قروضا لتمويل مشروعاتها التنموية .

أضف إلي ذلك ما نشهده في هذا العصر من تدويل للتعليم، تدويل التعليم العالي من خلال انتشار الجامعات الأجنبية التى تنشئ فروعا لها في الدول النامية، وإقامة مناطق للتعليم العالي والجامعات (Hubs) الأجنبية. وكذلك هناك الترتيب العالمي للجامعات الذي تجرى جامعات الدول النامية لتنمي نفسها فيه بترتيب رقمي لا تمل من إعلانه لأبناء بلدها باعتبارها تسير في الطريق الصحيح، ناسية أن مخرجاتها كما هي في نوعياتها لم يطرأ عليها ما يأمله الناس من تحسن وتحسين .

أما في مجال التعليم قبل الجامعي، فثمة مظاهر متنوعة للتدويل، منها التعليم للجميع الذى أهتمت اليونسكو بأن يكون ذا جودة محققا للمساواة والعدالة، مهتما بتعليم الإناث.

ومنها أيضا اختبارات التحصيل الدولية التى بدأت أهلية عالمية عن طريق منظمة دولية غير حكومية، ثم جاءت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية **(OECD)** لتقود أضخم اختبار دولى الآن، وهو المعروف إختصارا باسم بيزا **(PISA)**

Programme For international Student Assessment ويقيس الأداء المدرسي للطلاب فوق سن الخامسة عشرة في العلوم والرياضيات والقراءة .

وقد أنتجت هذه العولمة التعليمية تربية مقارنة جديدة **New Comparative Education (NCE)** ، هي تربية مقارنة ذات صبغة إمبيريقية، غيرت (وجه) التربية المقارنة الأكاديمية بشكل قوى، وبخاصة وأن المنظمات الدولية هي التى تقودها بمعونة باحثين تعليميين علي هامش الأكاديميا وخارجها، ويُنظر إليها عالميا الآن على أنها نمط جديد كعولمة التعليم .

وتعد هذه التربية المقارنة الجديدة بدراساتها وبحوثها الدولية ذات توجه واسع المدى **Macro / Large Scale** ، يهمل الدراسات والبحوث على المستويات الصغري **Micro Levels** الوطنية والمحلية والمدرسية وماله صلة بتشخيص التعليم الفردى للطلاب، رغم الحجم الضخم من البيانات والمعلومات التى يتم الحصول عليها.

ويمكن أن تتيح هذه البيانات للدول وضع سياسات لتحسين مركزها في هذه الاختبارات، سياسات إصلاحية قد تساعد فيها المنظمة الدولية المشار إليها **(OECD)** في عملية لتقل السياسات من هذه المنظمة وغيرها، والدول ذات المراكز المتقدمة إلى الدول التي تسعى لإصلاح سياساتها وممارساتها لتحسين أداءات طلابها .

إن عملية صنع السياسات التعليمية، وهي ناتج من نواتج الدراسات المقارنة وليست مجرد مجال بحثي فيها، قد صارت من أسس وأصول ومخرجات التربية المقارنة، وارتبط بها وإليها أيضاً ما تحتاجه هذه السياسات من تحليل ناقد لتطورها.

وبذلك فإن العولمة قد فتحت آفاقاً جديدة لتربية مقارنة جديدة ومتجددة على المستوى الدولي، وربطتها بعمليات صنع السياسات ودراسة حراكها استعارة وإعارة عبر العالم ووجهت جهود التربية من أجل التنمية.